Journal Of the Iraqia University (73-10) August (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

التأثيرات القرآنية في التاريخ الإسلامي

جعفر داهي مطير

د. ياسين خضير مجبل

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية/ قسم العقيدة والفكر الإسلامي

Quranic Influences on Islamic History

PhD Student: Jaafar Dahi Matar
Prof. Dr. Yassin Khadir Mujbil
University of Baghdad, College of Islamic Sciences, Department of Islamic Creed and Thought

الملخص

لقد تجلت التأثيرات القرآنية في حياة وسلوك السيد الخرسان، وليس غريب على علمائنا فهم تلاميذ أكبر مدرسة وهي مدرسة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف لا يكونوا هكذا وهم ينهلون العلم من مدينة الرسول الأعظم وزهد أئمتنا عليهم السلام .وقد تجلت التأثيرات القرآنية في أعمال الخرسان بالعديد من الأمور :**الزهد:** وقد جاء الزهد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ذم الرغبة في الدنيا، والتزهيد فيها والإخبار بزوالها وفنائها والترغيب في الآخرة والإخبار ببقائها ودوامها.

Summary

The influences of the Qur'an were evident in the life and behavior of Sayyid al-Khorasani. This is not surprising given that our scholars were students of the greatest school, the school of the family of Muhammad (peace and blessings be upon him and his family). How could they not be so, as they drew their knowledge from the city of the Greatest Messenger and the asceticism of our Imams (peace be upon them). The influences of the Qur'an were evident in the actions of Sayyid al-Khorasani in many ways:Asceticism: Asceticism appears in many places in the Holy Qur'an, condemning the desire for this world and renunciation of it, warning of its transience and passing away, and encouraging the Hereafter and its permanence and eternity.

المطلب الأول: كيف أثر القرآن في تشكيل التاريخية

القرآن الكريم كتاب منزل من الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بواسطة جبريل (الوحي) عليه السلام،﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١) وقد نزل على الرسول في ثلاثة وعشرين سنة حسب الحوادث ومقتضى الحال، حيث بدأ ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد مبعثهن واستمر بالنزول إلى أن اكتمل قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي المدة بين مبعثه ووفاته، حيث تقدر بثلاثة وعشرين سنة.ولقد اتفق العلماء على أن جمع القرآن توفيقي ، بمعنى أنَّ ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصاحف هي بأمر ووحي من الله تعالى، حيث ورد أنَّ جبريل عليه السلام عندما ينزل بآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيه، ولم يُعلم في ذلك مخالف" (٢)ولقد يسَّر الله لهذه الأمة من عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حفظ القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(٣) ، فكتب الله له الخلود وحماه من التحريف والتبديل، وصانه من تطرُّق الضياع إلى شيء منه عن طريق حفظه في السطور وله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤).وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(٥).والقرآن الكريم هو أصدق مصدر تاريخي وأصحها على الإطلاق ، ولا سبيل إلى الشَّك في صحة نصّه، لأنَّه ذو وثيقة تاريخية لا تقبل الجدل لأسباب منها:دوِّن في البداية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبإملائه تُلي فيما بعد ، وحمل تصديقه النهائي قبل وفاته لأنَّ القصص القرآني إنما هو أنباء وأحداث تاريخية لم تلتبس بشيء من الخيال ، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، لقوله تعالى: ﴿

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(٦).ويرى محمد عبدالله دراز:" أنَّ تسمية القرآن بالقرآن والكتاب، غنَّما تعني الأولى كونه متلو بالألسن، بينما تعني الثاني كونه مدوناً بالأقلام، إشارة إلى أنَّ الله يحفظه في موضعين (حفظه في الصدور، وحفظه في السطور) ، وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الإمة الإسلامية اقتداء بنبيها صلى الله عليه وآله وسلم بقي القرآن محفوظاً ، وهو انجازٌ لوعد الله الذي تكفَّل بحفظه حيق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٧).ولهذا لم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾(٨).وأنَّ هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة.والقرآن الكريم لم ينزل كونه كتاباً بمثابة كتاب في التاريخ يتحدث عن أخبار الأمم، كما يتحدث عنها المؤرخون، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد بالتي هي أقوم، أنزله الله ليكون دستوراً للمسلمين، ومنهاجاً يسيرون عليه في حياتهم ، يدعوهم إلى التوحيد وإلى تهذيب النفوس، وغلى وضع مبادئ للأخلاق وميزان للعدالة في الحكم ، واستنباط لبعض الأحكام فعندما يعرض القرآن لحادثة تاريخية فإنما يعرضها للعبرة والعظة ، واستلهام سنن الله في قيام الدولة وسقوطها، وازدهار الحضارات وزوالها، وصفات قادة التغيير الإنساني ، ومناهجهم في إدارة الصراع مع قوى الظلام ويهتم القصص القرآني بالعبر والدروس الفردية والأسرية والإنسانية، ومعالجة الأمراض النفسية، ودلالة الخلق على الصلة بالله وإفراد العبادة له. والتجارب المتنوعة لبني الإنسان، ومنها قصة يوسف وإسماعيل عليهما السلام.**فقصَّة يوسف عليه السلام:** هي قصة إنسان تمرَّس منذ طفولته بآفات الطبائع البشرية من حسد الأخوة إلى غواية المرأة إلى ظلم السجن ،إلى تكليف الولاية وتدبير المصالح في إبان الشدة والمجاعة .**وقصة إسماعيل عليه السلام:** تتخللها هذه التجارب الإنسانية من عهد الطفولة ، وكذلك إصابته بالغربة المنقطعة عن العشيرة والزاد والماء. وإن كان الأخطر من ذلك كلَّه أن تكتب عليه التجارب الإنسانية ضريبة الفداء، والتي تأخذ طريقين:الهمجية التي سيطرت في مجتمعات الشرق القديم لا تتورع عن الذبائح البشرية.الإنسانية المهذبة التي لا تأبى الفداء بالحياة ، ولكنها تتورع عن ذبح الإنسان .ثمَّ يكتب لإسماعيل ذاك الغلام الوحيد بواد غير ذي زرع عن البيت المحرم أن تنتمي إليه أمة ذات شعوب وقبائل ، تتحول على يديها تاريخ العالم على مدى الأيام.

وقال إبراهيم وهو يودع زوجته وابنه على لسان القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾(٩)**مرحلة ما قبل الإسلام:** في هذه المرحلة يقدم لنا كتاب الله معلومات مهمة عن طريق القصص القرآني عن عصور ما قبل الإسلام، وأخبار دولها، أيدتها الكشوف الحديثة كل التأكيد، فيقدم لنا عن طريق:**قصة موسى عليه السلام:** كثيراً من المعلومات عن الملكية الإلهية في مصر الفرعونية ، وعن الاحوال الساسية والاقتصادية والاجتماعية فيها.**وقصة إبراهيم عليه السلام:** حيث تقدم لنا الكثير عن العراق القديم.ومن الواجب الإشارة إلى أنَّ قصتي موسى وإبراهيم عليهما السلام قصتان مسهبتان في أجزائه، ربما لأنهما ترويان نبأ الرسالة بين أعرق أمم الحضارة الإنسانية وهما أمة وادي النهرين، وأمة وادي النيل، وكانت الثورة فيهما على ضلال العقل في العبادة جامعة لأكثر العبادات المستنكرة في الزمن القديم. **بني إسرائيل:** فالقرآن من أكثر الكتب السماوية فصَّل في الحديث عن بني إسرائيل، وأفاض في وصف اليهود وأحوالهم وأخلاقهم، وأبان موقفهم من الأنبياء، وقد كان ذلك أكثر من التوراة نفسها، وصدق الله العظيم فيما يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(١٠)**بلاد العرب:** فقد ذكر الله في كتابه الكريم سورة تحمل اسم مملكة في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وهي "سورة سبأ"، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (١١)كما انفرد القرآن الكريم دون غيره بذكر أقوام عربية بادت كقوم "عاد وثمود"، وكذلك ذكره:**أصحاب الكهف،** لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ (١٢)**وسيل العرم،** لقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١٣)**وقضية أصحاب الأخدود،** لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ (١٤)**وقصة أصحاب الفيل،** وهي حادثة متواترة عند العرب حتى أنَّهم جعلوها مبدأ لتاريخهم حين أراد قائداً حبشياً أن يعتدي على الكعبة المشرفة ويهدمها ليمنع العرب من الحج إليها(١٥)﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(١٦)**وهجرة إبراهيم الخليل** وولده إسماعيل عليهما السلام إلى الأرض الطاهرة في الحجاز، ثم إقامة إسماعيل هناك. لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١٧)وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدل على ما ذكرنا، يقول الله تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١٨)﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾(١٩) ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعمروَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ

لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢٠) ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢١) وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول في وصف القرآن :" كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع من العلماء ، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"(٢٢)والهدف من القصص القرآنية ليس سرد التاريخ، وما فيه من حوادث وقصص، وغنما عبراً تفرض الاستفادة منه لما حلَّ بالسابقين، وزجراً لخصوم الإسلام من قريش، ثمَّ تثبيتاً لقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام أذى الكافرين، وتخفيفاً لآلامه من خلال قصص الأنبياء والمرسلين ، ومن هنا جاء المخاطبة من قبل الله سبحانه وتعالى للنبي الأكرم بالقول: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)ويقول سبحانه تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (٢٤)، وبالتالي فقراءة القرآن وما ورد فيه من قصص هي قراءة صحيحة وصادقة ، " لن تجد فيه شيئاً من المبالغات التي وصلت إلى من كتب التاريخ وشطحات المؤلفين، أو في توراة اليهود المتداولة ، فضلاً عن أنَّ الاكتشافات الحديثة تؤكد وتؤيد ماجاء في القرآن كقصة عاد وثمود اللتين تبين أنهما مذكورتان في جغرافية بطليموس" (٢٥)وهناك الكثير من النصوص التاريخية التي تتحدث عن ثمود، فضلاً عن أنَّ الكتاب اليونان والرومان قد ذكروا اسم " عاد" مقروناً باسم " إرم" كما جاء في القرآن ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٢٦)كما جاء القرآن رداً لمن يشير إلى أنَّ الكثير من القصص التي وردت بالقرآن " كانت من القصص الشعبي السائد الذي كان يتداوله الناس في بلاد العرب"(٢٧)، ولذلك نراه يختم قصة نوح بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٨)وهكذا فحركة التاريخ في القرآن الكريم ليس مجرد ماض قد تصرم وانتهى، بل هو التاريخ المتجدد مع الزمن أيضاً ، حيث بدأت حركة التاريخ منذ أن خلق الله تعالى آدم وقال للملائكة: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٢٩)استمرت هذه الحركة تجري عبر الزمن لتصب في الحاضر، وتمضي نحو المستقبل، ولذلك رأينا كيف رصد القرآن حركة الأزمان والتاريخ ، وكان المصدر الأساسي الذي تعرفنا من خلاله بصدق وموضوعية على تاريخ الأمم السابقة والأجيال الغابرة، كما قال مخاطباً النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقول: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾.(٣٠)وبما أنّ القرآن الكريم يمثل " دستور نهضة إنسانية شاملة" لذا فإنه استخدم عنصر التاريخ في كثير من آياته المباركة، كمادة أساسية في تشكيل البنية الثقافية للعقل المسلم لترشيد حركته في عمليات البناء والإبداع الحضاري، فعمل على توظيف أحداث ووقائع الماضي بشكل يؤدي إلى نتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة ، لتحدد مواقفنا أمام الأحداث التي تنجم منها.والقرآن الكريم لا يهدف من خلال توظيف التاريخ لاسترجاع الماضي، وإحياء النزعة التاريخية، بل يهدف إلى " تعميق الرؤية العملية للإنسان وإغناء تجربته بتجارب الماضي، لجعله أكثر قدرة على ممارسة الدور الحضاري في بناء الحاضر" (٣١)لذلك جاء القرآن الكريم ليحفل بمئات الآيات التي تعالج قضايا التاريخ، وتستخلص منها القيم الإنسانية والتوجيهات الحضارية التي تفيدها رحلة الأمم السابقة في مراحل قوتها وضعفها " (٣٢)إنَّ فكرة " تسخير التاريخ" لدى القرآن المجيد انطلقت من الحقيقة القائلة: بأنَّ الإنسان هو الإنسان في كل زمان، في نوازعه وميوله، في مشاعره وأحاسيسه، إذ أنَّ هناك مجموعة من القيم الخلقية والحقوقية التي هي كلية و مطلقة ودائمة وثابتة، وقابلة للسراية والانتقال إلى جميع المجتمعات ، وتكون هذه القيم ناشئة من وجوه الاشتراك التكويني بين الناس (٣٣)، يقول تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.(٣٤)فالقرآن الكريم عندما يوظف التاريخ للاتعاظ والاعتبار بما جرى للمجتمعات السالفة: كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.(٣٥) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾.(٣٦)إنَّه يعترف بأنَّ الحياة الإنسانية لجميع الناس على امتداد الزمان والمكان ، واحدة في أصولها ومكوناتها الأساسية، وهذا ما يمكن التاريخ من الإجابة على كثير من الأسئلة التي تثار حول مشكلات الحاضر والمستقبل. وقد انطلق التوظيف القرآني للتاريخ من مجموعة نقاط:

أ) **مجال الاتعاظ والعبرة** : حيث وردت مفردات (العبرة، والموعظة، والذكرى، والهدى) في الآيات القرآنية التي تحدثت عن وقائع التاريخ لتكشف عن طبيعة المغزى والمعنى القرآني من وراء ذلك كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.(٣٧)وقد اتخذ القرآن الكريم عنصر

التاريخ في آياته ، لغايات أخلاقية تربوية تتصل بطبيعة الإنسان والمجتمع، وبما أنَّ هوية ورسالة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي هوية ورسالة أخلاقية تربوية ، فالتاريخ ينبغي أن يخدم الرسالية والأخلاقية في علاقات المسلم الداخلية والخارجية.

أ) **مجال الفكر والثقافة:** أحدث القرآن ثورة في عالم الفكر والثقافة الإنسانية من خلال إثارته للكثير من الموضوعات التي كان يجهلها الإنسان، ما دفعه نحو العلم والبحث والمعرفة.والفكر في المفهوم الحضاري: هو المعلومات والشرائع والمناهج والقيم التي تقوم عليها شخصية الأمة الثقافية والحضارية ، وتعطيها سمتها المميزة لها عن الأمم الأخرى ، ويرسم لها دورها في حركة التاريخ. يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.(٣٨)أما الثقافة: فهي السلوك أو نمط الحياة وطريقة العمل والتفكير والشعور التي تميز مجتمعاً معيناً، وقد تنوعت أدوات ووسائل التفكير في القرآن ومنها التفكير في التاريخ وفي حياة ومصير الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(٣٩)كما أثار القرآن الفكر البشري نحو المعرفة والبحث لتشخيص القوانين والشرائع والسنن التي تحكم حركة التاريخ ، من خلال المراجعة والتمعن في قصص السابقين، يقول تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.(٤٠)فالفتح القرآني الجليل القائل بأنَّ الساحة التاريخية سننا وضوابط هو الذي مهد إلى تنبيه الفكر البشري أن يتعمق في دراسة حركة التاريخ. **مجال الاجتماع والحضارة** : لم ترد كلمة "مجتمع" في القرآن الكريم، بل جاءت بديلاً عنها كلمات أخرى مثل " الأمة، القرية، القوم" للدلالة على مفهومها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.(٤١)،واستخدم القرآن الكريم مفردة " القرية والقرى" في حديثه عن إرسال الأنبياء عليهم السلام إلى المجتمعات البشرية، لقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾.(٤٢)فالمجتمع تعبير عن مجموعة إنسانية تعيش في مسار تاريخي معين تبدأ من نقطة محددة في الزمان ، وفيها يباشر وظيفته التاريخية ضمن حركة التغيير الاجتماعي.

المطلب الثاني: دور القرآن في توجيه الفكر الإسلامي

منذ نزول القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ العلماء والمفكرون المسلمون بدراسة القرآن الكريم وفهم معانيه وألفاظه، وتفسيره، وهكذا تطور الأمر مع مرور الزمن، وتطور معه فهم العلماء لمحتوياته وأبعاده، وعلى الرغم من أنَّ دراسة القرآن الكريم في بدايته كانت تستنبط من خلال القرآن ذاته ، ألاَّ انَّ تلك الدراسات لعبت دوراً محورياً في بناء الفكر الإسلامي، وتشكيل مجتمعات إسلامية متوازنة.ويعتبر القرآن الكريم مصدر الفكر ومنبع الفهم والمعرفة، والتشريع، والحضارة، ومقياس الخطأ والصواب، وعلى أساسه يبني المسلمون فكرهم وحضارتهم وثقافتهم وعلومهم ومعارفهم في الفقه والتشريع والعقيدة والفلسفة والأخلاق والأدب، وشتى صنوف المعرفة والفكر والثقافة.يقول سبحانه وتعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.(٤٣)فالقرآن مصدر للفكر والثقافة والحضارة الإسلامية نظراً لما حوى من السعة والشمول ومن مواد فكرية وثقافية وعلمية، حيث وضع الأسس والقواعد العامة والإطار الشامل للفكر الإسلامي ولخط الحياة والمعرفة الإسلامية .وقد تجلت أهداف علوم القرآن في بداية نزول القرآن بعدة أهداف:

أ) **حفظ القرآن ومعانيه:** من أولى أهداف البدايات لعلوم القرآن هو حفظ النص القرآني، وكان من أسمى الأهداف وبالتالي معرفة تفسيره بشكل دقيق يأتي في المرتبة الثانية وإذا كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى فهم النصوص بشكل صحيح ، وبشكل موضوعي وعلمي، وبعيداً عن التفاسير الشخصية الذي قد يحرف المعنى الأصلي للنص القرآني، وقد بدأت الجهود الأولى للعلماء في هذا المجال منذ البدايات، فكان أول ما قاموا به تدوين النصوص القرآنية في المصاحف، وبعدها توثيق القراءات المختلفة .

ب) **تفسير القرآن الكريم:** وهو الهدف الثاني من أهداف علوم القرآن بغية توضيح المعاني، خاصة بعد مرور الوقت وتنوع السياقات التي يفهم منها القرآن، حيث اعتمدت اللغة العربية الفصحى في تفسير القرآن، واستندوا في ذلك لما ورد من أحاديث نبوية ، وأسباب نزول الآيات. (٤٤)

ت)**البحث عن آلية لفهم القرآن:** هناك محاولات جديدة لفهم علوم القرآن بما يتناسب مع الحياة اليومية، مع بداية نشوء علوم القرآن ، وبالتالي اهتم العلماء المسلمون في بداية نشوء علوم القرآن بإيجاد تطبيقات عملية لمعاني القرآن في حياتهم من أجل استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية وتوجيه الناس نحو حياة أفضل. (٤٥)

ث)**إعادة قراءة القراءات القرآنية:** وهو من الأهداف المهمة في بداية علوم القرآن، وتجلَّى ذلك من خلال دراسة القراءات المتعددة للقرآن الكريم، وبالتالي انتشار التباينات في الأفكار والآراء في بعض المناطق المختلفة، لذلك كان لابد من توثيق هذه القراءات وفهم كيفية تأثيرها على المعاني. (٤٦)ومن الآثار المهمة للقرآن في توجيه الفكر الإسلامي أنَّه عمل على عدة نقاط أهمها:

١. **تشكيل الهوية الإسلامية:** لقد أسهم علوم القرآن بتشكيل هوية الأمة الإسلامية، وكانت واحدة من أهم العوامل غي ذلك، حيث كان للقرآن تأثير عميق في سلوكيات المسلمين الاجتماعية والدينية مما ساعد في ترسيخ الفكر الإسلامي كمرجع أساسي في حياة المسلمين حيث ساعد تفسير القرآن وتوضيح معانيه على إحداث توازن بين العبادة والحياة اليومية.وفلسفة الهوية الإسلامية " يتمظهر من خلال تعريف المرء نفسه بالإسلام، وان يكون الإسلام هو العنصر التعريفي للحياة الاجتماعية "([٤٧])، أي من خلال الانتماء إلى الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وغلى دين الإسلام وعقيدة التوحيد التي أكمل الله بها الدين وأتمَّ بها النعمة وقلناها خير أمةٍ أخرجت للناس لقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.([٤٨])

٢. **توجيه الفكر الفلسفي والعلمي الإسلامي:** علوم القرآن كان نقطة الانطلاقة الأولى لفهم العالم من منظور إسلامي، حيث بدأ العلماء المسلمون في استخدام القرآن كأساس للتفكير الفلسفي والعلمي، وخاصة مع اكتشافات جديدة في مجالات الطب والفلك والرياضيات، حيث وجد العلماء المسلمون إشارات قرآنية تشير إلى هذه الاكتشافات، وهذا ما أدى إلى انطلاقة فكرية فلسفية للحضارة الإسلامية.([٤٩])

٣. **بناء الثقافة الإسلامية:** لم تقتصر العلوم القرآنية على الجوانب الدينية فقط، بل امتدت لتؤثر في الثقافة الإسلامية بشكل عام، وذلك من خلال التفسير والفهم الصحيح للنصوص، حيث أخذت العادات الاجتماعية والثقافية الإسلامية بعداً جديداً متأثر بالقرآن ، إضافة لنشوء مدارس علمية متخصصة في دراسة القرآن وتفسيرهن مما ساهم في تكوين منظومة ثقافية إسلامية فكرية ودينية مستقلة . ([٥٠])

٤. **دور القرآن في تشكيل التشريع الإسلامي:** من خلال علماء التفسير استطاع هؤلاء تحديد كيفية استنباط الأحكام الشرعية من القرآن، وقد عملوا على تفسير الآيات التي تتعلق بالعبادات، والمعاملات والمجتمع بشكل يساعد في تطبيقها في الحياة الإسلامية.وهذه الدراسات كانت الانطلاقة الأولى وحجر الأساس في بناء نظام قانوني إسلامي يعتمد على القرآن كمرجعية دينية عليا إنَّ علوم القرآن كانت منذ بدايتها وحتى الآن أداة أساسية لفهم الإسلام وتفسير معانيه، وقد أسهمت هذه العلوم بشكل كبير في بناء الفكر الإسلامي وتوجيهه، وجعلت منه مرجعية حيَّة يستمد منها المسلمين المعرفة والعلم اللازمين لفهم دينهم وحياتهم .وبالتالي استطاع العلماء تشكيل أطر فكرية وعلمية من خلال تفسير المعاني الظاهرة والباطنة، ودراسة القراءات، والتفسير العام ، حيث قادت الأمة الإسلامية غلى التطور والازدهار في مختلف المجالات .

هوامش البحث

[١]) فصلت: ٤٢.

[٢]) الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،حققه واعتنى به: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٥. ، ١/ ٣٤٦.

[٣]) القمر: ٣٢.

[٤]) الحجر: ٩.

[٥]) القيامة١٧-١٩.

[٦]) الإسراء، ١٠٥.

[٧]) الحجر: ٩.

[٨]) المائدة: ٤٤.

[٩]) إبراهيم: ٣٧.

[١٠]) النمل ٧٦.

[١١]) سبأ: ١٥

[١٢]) الكهف: ١٣.

[١٣]) سبأ: ١٦

[١٤]) البروج: ٤.

[١٥]) العقاد: عباس محمود. مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥، ص٧٤.

[١٦]) الفيل: ١-٥.

[١٧]) البقرة: ١٢٦.

[١٨]) هود : ٤٩.

[١٩]) آل عمران: ٤٤.

[٢٠]) القصص: ٤٤-٤٦.

[٢١]) يوسف: ١١١.

[٢٢]) النيسابوري:الحاكم. أخرج الحديث في المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٤١، من حديث عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[٢٣]) هود: ١٢٠.

[٢٤]) آل عمران: ٦٢.

[٢٥]) الصلابي : علي محمد. نوح عليه السلام والطوفان العظيم، دار ابن كثير ، بيروت، ط١، ٢٠٢٠، ص٦٥.

[٢٦]) الفجر: ٦-٩.

[٢٧])البوطي: محمد سعيد رمضان. من روائع القرآن. دار الفارابي للمعارف، ٢٠٠٢.، ص٢٣٧.

[٢٨]) هود: ٤٩.

[٢٩]) الحجر: ٢٩.

[٣٠]) طه: ٩٩.

[٣١]) الكفيشي: عامر. حركة التاريخ في القرآن. دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣. ص١٦٩.

[٣٢]) عويس: عبد الحليم. فقه التاريخ، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٩٩٤، ص١١.

[٣٣]) مصباح: محمد تقي. النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ، تعريب محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الروضة، بيروت، ١٩٩٦، ص١٧٢.

[٣٤]) الروم: ٣٠.

[٣٥]) يوسف: ١١١.

[٣٦]) النازعات: ٢٦.

[٣٧]) يوسف: ١١١.

[٣٨]) الجمعة: ٢.

[٣٩]) الأعراف: ١٧٦.

[٤٠]) غافر: ٨٢.

[٤١]) البقرة: ١٣٤.

[٤٢]) الأعراف: ٤.

[٤٣]) إبراهيم: ١.

[٤٤]) ابن جني: أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٤، ٢/ ١٤ .

[٤٥]) الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت، ١/٣٠٤.

[٤٦]) ابن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف. النشر في القراءات العشر، تحقيقك علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ت، د.ط، ١/ ٢٤٣.

[٤٧]) كايانا: رمضان. بناء الهوية في ظلال الوحي، ط١، اسطنبول، تيرا، ٢٠١٥، ص١٦.

[٤٨]) البقرة: ١٣٨.

[٤٩]) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين دار المعرفة، بيروت، ١/ ١٦.

[٥٠]) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٧، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه .